دراسات
في
أنساب قبائل اليمن

تأليف

أحمد حسين شرف الدين

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

١٤٠١هـ — ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحكم على ثقافةٍ مّا يتوقف دائما على دراسة أوضاعها التاريخية وأطوارها البدائية ، وموادها العلمية ، من لغةٍ وفن ، وأدب وتقاليد ، وكما يقال إن الثقافة لا تُعرف بالاسم ، ولا يشترط فى مدلولها تقدم التهذيب ، فإنى أقدم للقارىء الكريم فى هذا الكتاب صوراً متنوعة عن التاريخ الثقافى اليمنى فى اتجاهاته الفكرية ، التى تكوّن فى جوهرها نواةً مركزية ، هيأتها عوامل فكرية وأنماط إنسانية ، تصلح أن تكون مادةً نافعة لدراسة ثقافتنا ، وتتبع مراحلها عبر القرون ، وهى فى مجموعها تشكل تراثاً فكرياً يستحق منا الكثير من الاهتمام والمزيد من التعمق والبحث .

وقبل أن أتوغل فى حديثى هذا أرى أن أنوِّه بكلمة خالدة قالها أحد الحكماء المعاصرين « إن كنت على يقين مما تقول فتكلم كما لو لم تكن ، فمن يفتقر إلى التواضع يفتقر إلى كل رأيٍ سديد» ولهذا فلن أقول عن كتابى هذا إلا أنه مجرد أبحاث مبدئية تفتقر إلى الإتمام والتكميل ، وفوق هذا فالأفكار مختلفة والآراء متنوعة ، والجهود متفاوتة ، والنقص سائد على جميع البشر ، وفوق كل ذى علم عليم . ولاشك أنه من الصعوبة بمكان الوقوف على حقائق التاريخ اليمنى لقلة مصادره ، فبالأولى دراسة ثقافته : وجودها ونموها ، وعناصر غذائها ، وعوامل صقلها ، وأسباب انطوائها واندثارها .

ولهذا فإن غرضى من وضع هذا الكتاب هو المساهمة فى فتح الباب

لسلوك طريق شاقٍ وعسير ، إلا أن الغاية سامية ، وما أحوج البحث العلمي إلى بلوغها ، لمعرفة كنهها واكتشاف أسرارها والله ولي التوفيق

(المؤلف)

مدخل فى الأنساب

مع مقارنة بين الإكليـل والنقوش

١ — الإكليل :

إن المراجع العربية التى تعرضت لأنساب قحطان ، ونخص منها كتاب (الإكليل) لأبى محمد الحسن بن أحمد الهمدانى ، ترتكز فى تدوين أنساب القبائل القحطانية وأغلب البلدان التى استوطنتها تلك القبائل داخل اليمن وخارجه على الملوك والأقيال والأذواء، وتنص على حصر القبائل اليمنية، بمافيها حضرموت فى كل من (حمير) و (كهلان) ابنى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتضمن (الإكليل) سلاسل مرتبة لهذه القبائل توصلها بأحدهما ، محتفظاً بربط سلالة الملوك — وهم فى نظره حميريون فقط — بحمير بن سبأ .

وأجزاء الإكليل المتعلقة بالأنساب هى ثلاثة فقط من مجموع خمسة الأجزاء التى عثر عليها حتى الآن ، وبيان مواضيع هذه الثلاثة كما يلى :

الأول : فى أنساب قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ .

الثانى : فى أنساب الهميسع بن حمير .

العاشر : فى أنساب همدان .

وسوف نتكلم فيما بعد عن مواضيع بقية الأجزاء الموجودة والمفقودة .

وبنظرة خاطفة فى هذه الأنساب نجدها عاريةً تماماً عن أى تدرج زمنى ، يوضح لنا أزمان تلك السلالات وتأريخ الحاكمين ، ولهذا فلا يستطيع أى باحث الوقوف على المدى الزمنى الذى عاش فيه كل من حمير وكهلان وأعقابهما من ملوك وأقيال .

لكننا إذا حاولنا الوقوف على ذلك من خلال الآباء المتحدرين من كليهما

والذين تفرعت منهم أنساب الإكليل ، وهم لا يزيدون فى الغالب على ثلاثين أباً من كل من حمير وكهلان إلى ظهور الإسلام وخصصنا لكل منهم مدة نسبية تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ عاماً[١] — على أكثر تقدير ، وجدنا أن كلًّا من حمير وكهلان ابنى سبأ قد عاشا فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وهذا بعيد كل البعد عن الواقع وعن معلومات النقوش التى سيأتى الكلام عليها قريباً .

وبالرجوع إلى مصادر (الإكليل) نجد أنها لاتتعدى أشياء ثلاثة :

١ — البحث من أفواه القبائل وحافظى أنسابها .

٢ — النقوش التى عثر عليها الهمدانى فى (ناعط) .

٣ — شعر (أسعد تبع) و (علقمة بن ذى جدن) وغيرهما .

وحرىّ بنا أن نشير هنا إلى أن أنساب قبائل قحطان ، قد خاض فيها غير الهمدانى كابن هشام الكلبى (٢١٨هـ)والمسعودى (٣٤٦هـ)وغيرهما ، إلا أنهم — وكما قال الهمدانى فى مقدمته على الجزء الأول من الإكليل — لم يأتوا منها إلا بمثل أثر فى عفر ، لا دارس فيعفو ، ولا بيِّن فيبدو ، لمّا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوى معرفتهم عن أعقاب من ظعن ، فينتف ذلك ويختصر ذا ، وأتوا بعنق يختلف عنها بدنها ، وكذلك غيرهم، حتى أن محمد بن إسحق أتى بنسب ولد الهميسع فى خمسة أسطر...الخ[٢]

ومن ثمة نستطيع أن نقرر بأن كتاب الإكليل ، هو الكتاب الوحيد فيما ظهر من مراجع هذا الفن الذى روى لنا أنساب القبائل القحطانية وقص علينا أخبارها ، بغض النظر عن أنّه قد توخى المصادر الصحيحة أم لا .

ويحتوى الإكليل على عشرة أجزاء ثلاثة منها فى أنساب (قحطان) كما

---

(١) أسفرت دراسة علم الأنساب على تقدير ٣٠٠ سنة لكل عشرة أجداد تقريبا كزمن نسبى ، وهو يتقارب مع تقديرنا .

(٢) الإكليل : ١/٩ .

ذكرنا ، وهى ما قد عثر عليه من أجزاء الإكليل ، بالإضافة إلى الجزءين الثامن والتاسع ، ويتضمن الثامن (محافد حمير) المطبوع ، والتاسع (وصايا الملوك) ويوجد بمكتبة الجامعة الأمريكية فى بيروت ، أما بقية الأجزاء وهى ما لم يعثر عليه حتى الآن فتتضمن المواضيع الآتية :

الثالث : فى فضائل قحطان .

الرابع : فى سيرة حمير الأولى .

الخامس : فى سيرة حمير الوسطى من أول أيام أسعد تبع إلى ذى نواس.

السادس : فى سيرة حمير الأخيرة إلى الإسلام .

السابع : فى التنبيه على الأخبار الباطلة .

وفى إمكان الباحث المدقق أن يأخذ صورة كاملة عن أجزاء الإكليل جميعها ، الموجودة منها والمفقودة من كتاب (السيرة الجامعة لأخبار الملوك التبابعة) شرح قصيدة (ملوك حمير وأقيال اليمن) وكلا القصيدة وشرحها للقاضى نشوان ابن سعيد الحميرى (٥٧٣ هـ / ١١٧٥ م) .

فهذا الكتاب قد عصر موضوعات الاكليل عصراً ، وجاء بأنساب قحطان وسبأ وكهلان وحمير وقضاعة ، على الوضع الذى نقرأه فى الجزء الأول من الاكليل ثم أورد لنا أنساب حمير وهو موضوع الجزء الثانى ، ثم تعرض لذكر فضائل قحطان ، وهو موضوع الجزء الثالث ، وقص لنا سيرة حمير جميعها مع أخبارها ومحافدها ووصاياها ورطانتها ، وهو موضوع بقية الأجزاء .

ولهذا فمن غير المشكوك فيه أن القاضى نشوان قد اطلع على مؤلفات الهمدانى جميعها ، لاسيما وأنه كان أحد المعجبين به والمهتمين بمؤلفاته .

وفى مقدمة القاضى نشوان لكتابه (شمس العلوم) روى لنا طرفاً من علم النجوم وأيام الدنيا وعمرها وانقضائها، وربما اعتمد فى ذلك على (سرائر الحكمة) للهمدانى، والتى لا تزال هى الأخرى طىّ الخفاء.

وإذا تأملنا كتاب (السيرة الجامعة) من أوله إلى آخره ألفيناه غير ذى جدوى من ناحية التاريخ والأنساب، ولا يفيد غير المهتمين بدراسة المنثولوجيا القديمة (علم الأساطير).

ويلاحظ أن القاضى نشوان كان يعتمد أحياناً على أقاصيص عبيد بن شربة الجرهمى (ت ٦٨٦ م) ووهب بن منبه (٥٤ هـ / ٧٣٢ م) وأكثرها معلومات باطلة.

وقبل أن أعثر على الجزء الثانى من (الإكليل) كنت قد قمت بدراسة الجزء الأول والعاشر دراسةً جعلتنى أتكهن بوجود ملاحم تاريخية إسلامية، يذكر فيها ملوك اليمن الأقدمين وأنسابهم وأخبارهم وديارهم وسيرهم، وأنها قد تكون لأسعد تبع وعلقمة بن ذى جدن اللذين ظالما أتى لنا الهمدانى بأبيات لهما كشاهد عدل ومستند حق على ما يرويه من أنساب حمير.

وقد أسفر تكهنى بعد ذلك عن حقيقةٍ إيجابية عند ما أتيح لى الاطلاع على الجزء المشار إليه، ووجدت نفسى أمام ملحمتين طويلتين إحداهما تعزى لأسعد تبع والأخرى لعلقمة بن ذى جدن. وقبل أن أدلى برأيى عنهما، أرى لزاماً علىّ قبل ذلك نقلهما برمتهما هنا:

١ — قصيدة أسعد تبع:

أتهجر ما لم يكن يهجر ... وتقصر فالمرء قد يقصر
وقد كنت فيما مضى لاهياً ... ودينى من لهوى المنظر
أزور الغوانى ويزدرنى ... وتخلبنى الكاعب المعصر

وكل خفوق الحشا خذلة يكاد مخدمها يثبر
كأن القراقف والزنجبيل مخالطها المسك والعنبر
يعل بأنيابها فى الكرى لمشتاقها ولمن يثغر
فصرت تروكاً لأمثالها وجنبنى الحلم ما ينكر
وبدلنى الدهر حالا بحال فأصبحت أقسر لا أقسر
أدبر بكفى رحى العالمين ويوم الهياج أنا المسعر
وداري مشحونة بالأداة وسيفى صمصامة مبتمر
إذا سُلَّ من غمده ذو السموم ظننت ذؤابته تقطر
ففى الضحو أبيض ذو شفرةٍ وفى الظل ذو كمتةٍ أخضر
ولى قائد نبزه ذو الكبا س ولى قائد خلفه شمر
ومن آل أديان قد كان لى مفاخر سيدها كركر
وتاران يهبر قد كان لى محاسن عهد ومستظهر
وقد كان أوتر لما نشأ ت يحزز لى اللحم لا يفتر
فحمير قومى أهل العلا هم معشرى وبهم أفخر
ألا أن حمير أهل الحجا بهم عرف الفضل لا ينكر
هم شيدوا الملك حتى علا فما نال بنيانهم معشر
أبى ملكيكرب الحميرى وحمير قومى فما حمير
يمينى ذو مائر ملهب وبالسمر ما شق الأيسر
ويعتب يعتب خالى الذى له الشرف الضخم والعنصر
وينعم تاران رأس الملوك إليه انتهى المجد والمفخر
وشمّر يرعش جدُّ الملوك وعلهان نهفان قد أذكر
وكان إلى شرح اليحصبى إذا استخمروه فقد يخمر
وكان مكاثر من بعده فقد كان يكثر لا يكثر

وكان يهصدق عند اللقاء يطيل بعمرى ولا يقصر
وكان يهلبظ لا ينثنى إذا جنه الدرع والمغفر
وكان يهحمد ذو نائل بنى المجد فهو له مسعر
وذو وينان ابتنى قبلنا مناراً ومن بعده بهبر
وذو المرعلين فلا تنسه وآباؤه لهم المنبر
وقد كان يسعر نار الحر ب ويخمد ناراً إذا تُسعر
وأصبح منا إذا ينسبون وبلقيس كان لها منظر
هما شيدا مجد من قد مضى وقبلهما الرائش الأكبر
وذو يامنٍ منه قد كان لى لعمرك أصل به أظهر
ومن ذى اللاحى قد كان لى أو اسٍ من العز لا تقعر
ومن ذى رعين ومن ذى مناحٍ لى الرأس والصلب والابهر
ومن ذى بريل ومن ذى تنوف لى العدد الأكثر الأغثر
وقد كان ذو يهرٍ فى الأمور يأمر من شاء لا يؤمر
وقد كان قبل أولاك الصوار إذا سيم يقهر لا يُقهر
وكان إذا الأمر لم يستقم وعزبه الورد والمصدر
فعمرو بن جيدان يدعى له وذاك بإبراده أبصر
ظفرنا بمنزلنا من (ظفار) وما زال ساكنها يظفر
وما (هكرٍ) من ديار الملو ك بدار هوان ولا الأهجر
و(بينون) مبهومة بالحديد ملاز بها الساج والعرعر
و(شهران) قصر بناه الذى بناه ببينون قد يشهر
ومأرب قد نطفت بالرخا م وفى سقفها الذهب الأحمر
وغمدان قصر لنا مشرق مآجله حوله تزفر
وغيمان محفوفة بالكروم لها بهجة ولها منظر

بها كان يقبر من قد مضى مِنَ آبائنا وبها نُقبر
إذا ما مقابرنا بُعثرت فحشو مقابرنا الجوهر
وكل يموت كذاك العباد ومن بعد ذلكم المحشر
فلا الناس إنْ عُمِّروا يخلدون ن فيها ولا الموت يُستنكر

٢ — قصيدة علقمة بن ذى جدن :

لكل جنب إنحنى مضطجعْ والموت لا ينفع منه الجزعْ
والنفس لا يحزنك إتلافها ليس لها من يومها مرتجع
أو ملك الأقيال ذو فائشٍ كان مهيباً جائراً ما صنع
أو تبع أسعد فى ملكه لا يَتبع العالم بلا يتبع
وقبله ذو يهر ماور طارت به الأيام حتى وقع
وذو خليل كان فى قومه يبنى بناء الحازم المضطلع
ما مثلهم فى حمير لم يكن كمثلهم والٍ ولا متبع
فسل جميع الناس عن حمير من أبصر الأقوال أو من سمع
يخبرك ذو العلم بأن لم يزل لهم من الأيام يوم شنع
لهم سماه ولهم أرضه من ذى المعالى ذا يزان اتضع
اليوم يجزون بأعمالهم كل امرءٍ يحصد ما قد زرع
وكيف لا أبكيهم دائماً وكيف لا تذهب نفسى الجزع
ننظر آثارهم كلما عاينها الناظر منا خشع
هل لأناس مثل آثارهم مما بنت بلقيس أو ذو بتع...الخ

أما أسعد تبع فهو الملك الحميرى[1] ، الذى يقول عنه الهمدانى بأنه عاصر طسماً وتارةً بأنه عاصر بختصر ، ولا ندرى هل يعنى طسماً البائدة أم أن هناك

(١) راجع نسبه الصحيح فى مشجر السلالة السبئية الرابعة بعد هذا .

طسماً كهلانية أو حميرية ، ومثل هذا غير بعيد من أبى محمد وإن كان لم يقل به أحد لا من العرب ولا من العجم .

أما بختنصر ملك بابل فإنه قد عاش فى القرن السابع قبل الميلاد ، ومن البديهى أن الشعر العربى فى ذلك الحين بل وفيما بعده بألف عام تقريباً كان لا يزال قابعاً فى مسقط رأسه (نجد) لم ينتشر بعد إلى أنحاء الجزيرة العربية كما يعرف ذلك أرباب الأدب العربى وحفظة تاريخه .

وأما علقمة بن ذى جدن فيقول عنه بأنه كان مخضرماً وأن له عدة أسماء منها : المطموس لأنه كان ضريراً ، والنواحة لأن شعره كله مراثٍ فى حمير وقصورها وغير ذلك ، ولم يزد على ذلك شيئاً .

ولسنا فى حاجة إلى الإشارة إلى رداءة هـذا الشعر إذ يعتبر ذلك خروجاً عما نحن بصدده ، بل نقول عنه إنه نوع من الشعر الموضوع الذى يجرى على ألسن العامة ، ومن يتصفح هاتين القصيدتين بيتاً بيتاً ثم يقرأ (الإكليل) يجد أن الهمدانى قد جعلهما وأمثالها نصب عينيه عند وضعه لأنساب حمير وسلسلتها ، وتخريج أقاصيصها ، وركن إليهما ركون من أجـدب فانتجع ، وكان الجدب أمرأ للهزيل .

وجاء فى الأكليل أسماء أشخاص اعتمد عليهم الهمدانى فى وضع سلاسل النسب ، لا يزالون فى حكم المجاهيل ، إذ لم يفصح إلا عن بعض أسمائهم كأن يقول : قال أبو نصر ، قال البريهى ، قال الأوسانى ، وكثيراً ما يحشر لنا عدة أقوال فى نسب واحد مما يتعذر معه الحكم على أصحها ، بالإضافة لما يجده المتأمل من التناقضات الغريبة ، ولا سيما عندما يقارن بين أنساب آل الصوّار والتبعيين واليزنيين واللعويين وغيرهم ممن سيأتى لنا ذكره وبيان وجوه التناقض فيه .

وأهم ما يلفت النظر أن كثيراً من أسماء الأماكن اليمنية قد نسبها الهمدانى إلى الملوك أو الأقيال أو الأذواء ، وبعضهم قد لا يبلغ تاريخه حتى إلى القرن الأول للميلاد كما يفهم من تسلسل أنسابهم ، وهذا يعنى أن تلك الأماكن لم تعمر إلا مؤخراً بينما تعود فى النقوش إلى أعماق التاريخ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً .

ومن خلال قراءتنا للشجرات النسبية فى الإكليل والتى تعود إلى ما قبل الإسلام نجد أسماء كثيرة لم يرد أمثالها فى النقوش ومنها على سبيل المثال : محمد ، على ، عبد الله ، قاسم ، المختار ، إبراهيم ، قيس ، ربيعة ، مالك وغيرها، بينما أسماء النقوش لم يرد فيها غالباً إلا : كرب ، مأذن ، يريم ، لحيعث ، سمهعلى ، يسرم ، يهرعش ، يهقبض ، يدع ال ، يكرب ال ، وهلم جرا .

ونجد فى الإكليل أقاصيص وأخبار يصعب تقبلها . ويعسر هضمها ، وهى كثيرة جداً ، ونكتفى هنا بإيراد مثال واحد على ذلك .

قال الهمدانى بالحرف الواحد : « وفى بعض أخبار اليمن القديمة أنه لما قحط القطر (؟) فى زمان يوسف عليه السلام ، وألحت الجراد ساءت أحوال اليمن والحجاز ونجد ، لأنها أرض قعقاعه لا سوح فيها (؟) فأمر تبع ابناه (؟) علهان ونهفان أن يكتبا للناس إلى خزانة الملك بمصر ، وهو الوليد بن الريّان من العماليق ، فكتبا إلى العزيز بمصر وهو يوسف عليه السلام فى حفظ من يثتشر إليه من المسترسلين ببضائعهم ونعمهم وعروضهم ورقهم ، فخرج الناس على كل صعب وذلول ، وكثير من أزوادهم الجراد (هكذا بعد أن ذكر البضائع والنعم والعروض) فلما رآهم يوسف آوى لهم (؟) ورثى لهم من القره ، وأمرهم باتخاذ النواضح (الآبار الجوفية) ووصفها لهم ، وعادوا فاحتفروا النواضح ،

فكل بئر من ذلك العهد فهى عند العد التى لا تنكش[١] » .

وهكذا نسى الهمدانى ما وصفه لنا من البئر المعطلة فى تلفُم ، وآبار معين التى لها شهرتها فى مشارق اليمن ، وقد ذكرت النقوش العديد منها ـ راجع كتابنا عن النقوش اليمنية ومن يشاهد خرائب معين وقرناو وبراقش ومأرب والجوبة يجد الكثير من الآبار ، والتى يعود تاريخها إلى ما قبل ثلاثة آلاف عام ، وهى مطوية بالبلق المنحوت نحتاً فنياً رائعاً ، وقد شاهدت عند زيارتى لهذه المناطق ما أدهشنى ولا سيما طريقة طى الآبار بأحجار البلق الضخمة المستطيلة والمستديرة والمربعة كأنها قوالب الصابون ، على أنه من الغريب أن تجهل الحضارة المعينية والسبئية والحميرية طريقة حفر الآبار ، وهى التى شادت من السدود والعمران ، واخترعت من أساليب الرى الأخرى ما أدهش العالم المعاصر .

أما النقوش التى يقول الهمدانى إنه اعتمد عليها فى كتابته للأنساب فهى يسيرة جداً ومجزأة ولا يزيد عددها على أصابع اليد ، ولا تبلغ كلماتها الثلاثين كلمة ولا تفيد حول الأنساب فى شىء ، وقد أوردها فى الجزء الثانى والتاسع ، وفسرها تفسيرات تنم عن جهله تماماً بلغة المسند ، كما سنعرف ذلك أدنا هذا :

المسند الأول : « ذو هل قبلن ذو جر غيلن » فسره الهمدانى بقوله : أى ليس يملك من لم يقدر على فتق العيون وجر الغيول»[٢] وإذا صح وجود هذا النقش فتفسيره الصحيح : ذو هلال القيل الذى جرّ أو فجر الغيل .

المسند الثانى : « طوبة ذى خمر ملء شناتر سجيح سرطراط » . قال الهمدانى فى تفسير هذا المسند : كان لجهيف مع أبى إهلب ثلاث بنات : فهدة ، ودة ، رتبوت ، فقالت فهدة وودة يوماً : وذكر المسند المذكور ، ثم قال : فلما سمع بعض الخدم قولها ، وكانتا كالمستهزئتين ، لبك لها من العسل ولباب البر وسلاء

(١) الإكليل : ١٠/١٤ (٢) الإكليل : ٢/٣٥٣

الغم ملأها وطلع به إليهما بالطئداى ، فلما عاينتاها استفرغ بهما غرب الضحك (؟) حتى ماتتا وكتب على قبرهما «من يحزن لذتى من ضحك موت» .

وأضاف مفسراً للسند المذكور قوله : « السجيح العصيدة اللينة ، ومن ذلك الحديث عن النبى (ص) ، وعن عائشة وغيرها : ملكت فاسجح ، وكانت كلمة أسير أسرت فرخرخ ، وشناتر قِدر الصفّر » ، إلى آخر هذا التكلف والتعسف .

أما رأينا عن منطوق هذا السند إن صح وجوده فهو : (طويبة ذخمر بن شنتر سجح بن طرط) وتفسيره : « طويبة تصغير طيبة ، وهو الحصن الحميرى المطل على وادى ضهر حيث وجد النقش ، التابعة لذى خمر بن شنتر سجاح بن طراد ، وقد جاء اسم شنتر أو شناتر فى الإكليل يقول إنه أحد أقيال حمير ، ويقول معللاً إن الشناتر : الأصابع فى لغة حمير .

المسند الثالث : قال الهمدانى عند ذكره لذى مأذن : ووجد فى بعض دواوين ذى مأذن « من كرب ذما ذنم إلى تهامت وطودم حى هلم وحضائم بألفى جعيرم ومائتى ركبتم ذرحم لنحم يوم حموسم » ثم فسره بقوله « أى من كريب إلى ساكن تهامة وطودما ، أن ائتو يوم الخميس الأدنى حتما محتوماً بألفى خشبة ومائتى راكبة ذراح كلها . . . »[1]

والذى يفهم من هذا السند أنه قد نقل غلطاً وأضيفت إليه بعض عبارات السجع والتصنع ، وكتابته الصحيحة كما يظهر (كرب ذمذنم ال تهمت وطودم بنى وحضم بألفى جعيرم ومائتى ركبتم لقحم يوم خمسن . . . .) .

وتفسيره كما يلى : (كرب ذوماذن سيد تهامة والجبال بنى وحاض بألفى خشبة ومائتى راكبة ذراح لقاح ، بتاريخ اليوم الخامس من . . .) ووحاض قصر من قصور حمير ، ويعرف مكان فى الكلاع باسم وحاظه وهو من القصور

(١) الإكليل : ٢/٣٥٤

التاريخية الحميرية الشهيرة ، والجعير : الخشبة ، وتستعمل الآن كعجلة للبئر وتكون مستديرة لتساعد على حركة الدلو . أما الراكبة فهى الخشبة العظيمة التى تسقف عليها الأخشاب ، والذراح نوع من الخشب بل من أجود أنواعه نظراً لطوله واستقامته ، ويقطع فى موسم خاص يسمى موسم (اللقاح) . كان البناء فى اليوم الخامس من . . . (بقية النقش مطموس) .

المسند الرابع : قال الهمدانى فى الجزء التاسع من الإكليل : (ووجد بحقل قتاب « أنى شمعة بنت مرائد كنك إذا وحمك أكلك القشم من أرض الهند بطلّه زاهداً » تريد الفواكه طرية، وثمار الخريف تسمى القشم عندحمير، ومن يروى هذا منهم يرى أن الجن كانت تخدمهم . . .)[١] .

المسند الخامس : قال الهمدانى فى الجزء التاسع : (ووجد فى قبر من مقابر الملوك ببريم لوح من ذهب مكتوب فيه بالمسند «إنى ديباجة بنت نوف ذى شقر ابن ذى مرائد فيملك لادى يسمى لى مندد طحن بمندد بحرى قد وسنه لى فاعتفدك بقبرى فمن سمع به فليحزن لى وأيما أنثة لبست حليتى ليكون موتها جنح موتى « تقول : أمرت عبدى يشترى لى فى حطمة وقمت مد طحين بمد لؤلؤ فلم يجد فاعتفدت أى أغلقت عليها بابها حتى ماتت ثم دعت على كل امرأة تلبس حليها بعدها أن يكون موتها مثل موتها)[٢] .

المسند السادس : وقال الهمدانى فى الجزء التاسع من الإكليل : (ووجد قبر ببريم بالقرب من ظفار وهو قبر ذى دينان بن ذى مرائد بن ذى سحر ثنية من الذهب وكانت سقطت فى حياته وعليها مكتوب بالمسند « لاتحزن على ثنيتك ذى مرائد فإنك إلى دنياك غير عائد ، ووجد مع ذى دينان فى قبره لوح من ذهب مكتوب فيه : إنى مرائد ذو دينان أنا وانثة سمائة خريف حيوان ،

(١) و (٢) السيرة الجامعة ص ١٦٠

والصريف نحـذيان والطميم نلبسان » يقول : أنا وامرأتى وهى الاثنة بلغتهم حيينا ، والصريف نحذيان أى الفضة ، والطميم نلبسان أى الحرير)[1] .

هذا كل ما أورده الهمدانى من مسانيد (النقوش) وصرح باعتماده عليها فى أنساب حمير ، وهى كما يراها القارىء إن صح وجودها فلا تتعلق بشىء من الأنساب ، وقد تركنا الثلاثة المسانيد الأخيرة بدون تعليق ، لأنها لاتعتبر من النقـوش بل من الملفقات ، وهنالك مسندان آخران اعتمد عليهما فى أنساب همدان وسيأتى الـكلام عليهما فى بابه .

وللهمدانى مؤلفات أخرى جاء ذكرها فى الإكليل منها (سرائرالحكمة) وقد سبق الإشارة إلى موضوعه ، و (اليعسوب) و (الأيام) وهذان لا يزالان فى عالم المفقودات . ومما عثر عليه مؤخراً قصيدته المعروفة بقصيدة (الجار) ، وقد أوردها القاضى الأكوع كخاتمة حسنة لمقدمته المطولة التى أضفى فيها على الهمدانى ألقاباً ونعوتاً لا تخلو من غلو ومبالغة ، وقبل أن نورد أنموذجاً من هذه القصيدة نرى أن ننقل للقارىء الـكريم طرفاً من تلك الأوصاف والنعوت التى استعارها القاضى الأكوع ليضفيها على شخصية قد لا تـكون ممن تخدعها عبارات التصنع ونعوت التزلف ، ولـكنا بمقارنة بسيطة بين الموصوف والصفة نخرج بنتيجة تؤكد لنا أن كلاً من الجهل والغرور كانا من أعظم الأسباب التى عبثت بتاريخنا المجيد قبل الإسلام وبعده ، وعصفت بحقائقه الناصعة ، وأخرجته فى قالب مشوه وإطار ممسـوخ ، لا يستفيد منـه غير أولئك الأجانب الذين يتحينون الفرص ويتلمسون المآخذ ليلصقوا بتاريخنا ما ليس فيه ويتخذون من ذلك صوراً غير لائقة عن كتاب اليمن وأدبائه المعاصرين بصورة عامة ليؤكدوا للعـالم ما سبق أن نشره المغرضون من المزاعم الزائفة والإدعاءات الباطلة .

---

(١) نفس المصدر .

قال القاضى الأكوع فى مقدمته على الجزء الأول من الإكليل : « وما أشبه أبى محمد بقول حبر الأمة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمها ، ومن الكعبة ركنها ، ومن السيوف صميمها » فما هو بالركن اليمانى الذى تومىء إليه وتستلمه تبركا ، بل هو ركن من أركان العلم وقبلة رواد المعرفة ، والكعبة التى تتوجه إليها أنظار الباحثين وتتيمم صوبها آمال المكتشفين ، الذين يطوفون حول معارفه ، ليزدادوا علماً ، وكأنما يكتشفون منجماً ذهبياً أو كنزاً ثميناً ، إذ هو السجل التاريخى العظيم الذى دخل من أوسع أبوابه ، والصحيفة المشرقة الخالدة المليئة بعجائب الفنون ، وغرائب العلم ، والموسوعة العلمية التى وقف عندها الجهابذة حسراً خشعاً »[1].

وقبل أن يورد قصيدة (الجار) عاد فاستعار له السجع التالى : « صمصامة البيان ، عضب اللسان ، الذى لاتفل مضاربه ، ولا ينهنه غربه ، ولايهن جانبه ، إن تكلم أضفى على العقول سحراً حلالا ، وكسا الأفهام بروداً تتلألأ ، وأسقى العطاش من معين علومه دلاء سجالا ، وماء زلالا ، يغذى الأفهام بجواهر لفظه ودرر كلمه ، ويحيى النفوس والأرواح بروائع حكمه ، إن رمى قرطس ، وجاء بالشىء الأنفس ، وأصاب الغرض ، وطبق المفصل ، وإن قال فالقول ما قالت حذام ؛ وإن سوجل فكما قال الشاعر :

إن تساجله تساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

فهو البحر الزاخر الذى لاتكدره الدلاء ، والذى يقذف للقريب لآلئاً ، وللبعيد جواهراً . . . . »[2] .

والآن إليك أيها القارىء بعض أبيات القصيدة ، وسنترك لك الحكم بعد التأمل والفهم ، أما غرضنا فهو النقد العلمى البحت ، وخدمة التاريخ بلا تحامل

(١) مقدمة الإكليل : ١/٣١ (٢) نفس المصدر ص (٣١) .

ولا بهت ، دون أن نخدع أجيالنا القادمة بكيل المديح جزافاً، وزخرفة الأقوال اعتباطاً واعتسافاً :

خليلي إني مخبر فتخبرا بذلة كهلان وحيرة حميرا
عذيري من (قحطان) إني مشتك عواريكما ظلماً وخذلا فأنكرا
فسبحان من قوم وترت عدوهم سماع الهى والجبل المجهرا
فأصبح موطوساً مشيد فخارهم ولكنهم مما تحين ازورا
وأصبحت مأسوراً بأيدى معاشر رضا لهم بأقبح ذا متذكرا
أظل أقاسى كل أحمر ضيطر زبانية حولى وكيلا مشمرا
ويبرى خفوق النجم منى هماتى إذا ما الكرى فى العين زنّق أسمرا
فَفَاها لفيك اليوم (قحطان) ماعسى مبادرة أبقى نصيبى معفرا
ومنها: أيوم رجائى عارفاً ومحافظاً علىّ وفى البؤسى صدوداً ومنكرا
أسلم لا يلحق معداً ملامةً فإنى أراهم من قبيلى أعذرا
فيابنى أبى صعب دعام بن مالك وعيكما نهما ووادعة أخضرا
إلى ابنى عريب حيث حلا وشاكر وأصباهم زيد بن زيد ليخبرا
أحاور أحاور ميتاً ومثلنا وحضا معيداً منهم ومعمرا
ومنها: ظننت بأن لو كنت من حى فارس على بعدٍ أو كنت ممن تنصرا
لما أسلمونى عنوةً دون صيلم ولا نفضوا عنى الأكف تنكرا
ولاجلجلت بالرعد فىّ سماؤهم ولم ير منها قطرها قد تمهرا
ومن لم يرم عرضهم سوم علةٍ تعل بها ريان يطلب مصدرا
ومنها: ولا أوصلوا من أصبحوا فى ديارهم إلى نفر منهم إليه فيقصرا
ولا لوم إن لم يمنعوا من أحبهم وينزل عنهم فى محل توعرا
أليس سراة القوم تدمر رأسها وذلك أولى أن تحاط ويذمرا

وهكذا إلى نهاية ٩٩ بيتاً على هذا المنوال ، وبقيتها ليست أبلغ مما ذكر،

بل ربما كانت تلحق بالغريب الوحش ورطانة التعبير التى اختص وحده بعلومها وأسرارها .

النقوش :

يعود تاريخ استكشاف النقوش الأثرية واستقراؤها فى اليمن إلى أواسط القرن الثامن عشر للميلاد ، عندما نشطت جماعة من الباحثين عن تاريخ اليمن، وكانت محاولتهم بادىء الأمر لا تختلف عن محاولة فتح سرٍّ من أسرار العالم المختلفة ، وفك طلسم من طلاسمه المعقدة ، إذ لم يكن بأيدى الناس حينذاك غير (اكليل) الهمدانى وأساطير عبيد بن شرية وخرافات (السيرة الجامعة) لنشوان بن سعيد الحميرى ، وهى فى مجموعها لا تنفع من كدى، ولا تنقع من صدى ؛ وهذا مادعى بعض الكتاب العرب إلى الحكم بسقم التاريخ اليمنى بصورة خاصّة ، والشك فى هذه المراجع ، واتهامها بالخبط فى الأخبار والتخليط فى الأنساب .

ولقد كان ابن خلدون على حق حينما أشار إلى قول ابن حزم بعد ذكره لأنساب حمير ، وبالأخص (التبابعة) مثلا : « وفى أنسابهم اختلاط وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ، لا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير ، لاختلاف رواياتهم وبعد العهد »[1] .

لهذا كان لزاماً على كل من يهمه معرفة تراثنا العظيم وحضارتنا التليدة البحث عنها فى مظانها الحقيقية ، ومصادرها الصحيحة ، وليس غير النقوش[2] التى قال عنها القاضى عبد الرحمن بن يحيى الاريانى فى مقدمته لكتابنا : (اليمن عبر التاريخ) « بأنها دون شك المصدر الأول، ويأتى بعدها ما كتبه حولها علماء الغرب المستشرقون ، وعلى هذين يجب أن يكون اعتماد

---

(١) كتاب السير وديوان المبتدأ والخبر : بولاق : ص ٢/٥٨

(٢) راجع الجزء الثانى والثالث من هذا الكتاب .

من يريد البحث عن تاريخنا القديم ، إن شاء أن يصل إلى فهم صحيح وحقائق صحيحة » .

« أما ما نجده فى الموسوعات العربية القديمة التى يتناول بعضها فى البداية تاريخ اليمن القديم ، فإنه يجب أن نشك فيها شكاً كبيراً ، وألا نعطى اعتباراً إلا لما كان منها موافقاً لنقش أثرى، أو ما كان منطقياً يقبله العقل، إن استطعنا أن نجد له ما يؤيده ويدعمه ولو بطريقة غير مباشرة » .

«وقد يسرنا كثيراً أن نصدق ما سجله بعض مؤرخينا القدماء ، لأنه يساير رغباتنا ويرضى غرورنا وكبرياءنا، ولكننا نستطيع أن نقول أن هذه الكبرياء إنما هى كبرياء زائفة ، لأن للحضارة اليمنية القديمة ، مظاهر عميقة ، وجوانب إبداعية رائعة ، ومميزات تضعها فى مصاف أعظم الحضارات ، وهى كلها مظاهر واقعية إيجابية إنسانية ، وهذه هى التى تملأنا بالزهو والاعتزاز ، لا تلك الشطحات الخيالية ، والمبالغات المناقضة للعقل والواقع ، وهى إلى جانب ذلك مظاهر سلبية غير إنسانية، فهى لا ترضى إلا العواطف السطحية ، ولا تخلق إلا الحماس الفارغ . . . » إلى آخر ما كتبه القاضى الاريانى معرضا بأولئك الجهلاء

الذين يتعاطون نشر تلك الأساطير والتعليق عليها دون تعمق فى البحث ، ولا تورع فى إصدار الأحكام ، فيضيفون جموداً على جمود وتعسفاً على تعصب[1] .

لقد كان جهل علماء الغرب بهذا الجزء من العالم ، وتطلعهم إلى حضارته التى قرأوا عنها القليل فى بعض الكتب المقدسة ، وفى مؤلفات الجغرافيين

---

(١) راجع الإكليل ومقدماته وتعليقاته ، وبالأخص الأول والثانى للقاضى الأكوع ، ففيهما الكثير من التهريج ومما اشار اليه القاضي الارياني

اليونان أمثال بطليموس (١٦١ م) وسترابون (٥٠ م) وأغاثرشيدس وثيوافرست وأرتوستينس وغيرهم ، الدافع الأكبر لكارستن نيبور وأدوارد جلازر ويوسف هاليفى وغيرهم من المغامرين ، لغز وأعظم مجهول من مجاهيل التاريخ العالمى ، ضاربين أروع الأمثال فى البطولة والتضحية وتحمل المشاق .

وكانت نتائج أبحاثهم التى عادوا بها من اليمن المادة الأولى لعلماء برلين وڤينا وباريس وكوبنهاڤن فى نشر نظرياتهم ومحاضراتهم عن آثار وتاريخ اليمن ، كما كانت بمثابة فتح جديد أعطى غيرهم من دارسى الآثار اهتماماً كبيراً، قابلت بعده اليمن أفواجاً من المستشرقين ورواد الآثار .

وعلى ضوء مجموعات هؤلاء التى عادوا بها ، تمكن علماء الغرب من الوقوف على معلومات قلبت التاريخ اليمنى رأساً على عقب ، وأضفت على حضارته صبغة جديدة جعلتها تأخذ مكانها الجدير بها فى عالم الحضارات .

أما فى مجال الأنساب ، فقد تمخضت دراساتهم عن وضع قوائم — قريبة جداً من الواقع — كشفت لنا أنساب السلالات الملكية السبئية والحميرية والهمدانية مدرجة تدريجاً نسبياً وزمنياً منذ القرن التاسع قبل الميلاد إلى أوائل القرن السادس للميلاد ، وهو تاريخ سقوط الدولة الحميرية بعد غزو الأحباش الأخير .

وكانت تلك المجموعات والابحاث التى اطلعت عليها فى مكتبات أوروبا ومتاحفها قد حفزتنى إلى بذل جهود أكثر فى دراسة آثارنا وتراثنا ، وجمع ما أمكننى من النقوش علّى أستطيع المساهمة فى هذا الميدان .

وقد تمكنت — بحمد الله تعالى — من الحصول خلال بضع سنوات على

---

(١) راجع (المستشرقون) فى الفصل السادس من كتابنا (اليمن عبر التاريخ) .

عدد من النقوش المعينية والسبيثية والحميرية، وهى تزيد على ٢٢٥ نقشاً ، معظمها من النقوش المطولة .

وأهم ما يجدر بنا ذكره هنا أن هذه النقوش وأمثالها من آلاف النقوش التى قد عثر عليها والتى لا تزال تنتظر التنقيب قد كتبت فى مناسبات هامة وأحداث مختلفة ، وهى فى مجموعها تهدف إلى تقديس الآلهة ، والإعراب عن طاعتها والولاء لها .

ومنها ما يكتب باسم الملك أو بعض أسرته أو قائد جيشه حيث يذكر معركة حدثت أو واقعة جرت ، وفيها الكثير من المعلومات العسكرية ، وسن القوانين ، والاحلاف ، وبناء القصور والسدود ونحو ذلك .

وقد تمكن المستشرقون ، ونذكر منهم هنا هومل وفيلبى وبيستون ورودوكاناكس ومارينا هوفنر وريكمانز ، من إجراء دراسات أخرى لآثار الآشوريين والبابليين والمصريين والاحباش توصلوا بها إلى وضع مقارنات تاريخية وموافقات زمنية ، كنتيجة لمثورهم على مستندات تحدد علاقات اليمن السياسية والتجارية مع هذه الامم قديماً .

ونذكر هنا على سبيل المثال تلك المستندات الآشورية التى أشارت إلى أن كرب ال بيين ملك سبأ (حكم ٧٢٠ — ٧٠٠ ق م) قد عاصر الملك الآشورى سنخريب (٧٥٠ ٦٨١ ق م) ودفع له الجزية ، أو بمعنى أصح الرسوم التجارية ، وأن يثعمروتار ملك سبأ حكم مع أخيه كريب ال (٧٢٠ — ٧٠٩ق م) قد عاصر سرجون الثانى (٢٧١ — ٧٠٥ ق م) وأنه كان ضمن زعماء القبائل العربية التى أخضعها لحكمه ، كما جاء ذلك فى قرميده للملك سرجون .

وجاء فى نقش سبئى عثر عليه بالحبشة أن ملك كرب يهأمن ملك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات (٣٧٤ — ٣٨٥م) قد تحارب مع(العيزان) ملك أكسوم سنة ٣٧٨ م

وبعود الفضل فى الوصول إلى هـذه المقارنات التى كشفت لنا أزمان السلالة السبيئة إلى النقوش الملـكية التى عثر عليها فى مأرب وصرواح وظفار ، والتى تحمل عادة أسماء الملوك وآباءهم وأبناءهم ، وبذلك تمـكن الباحثون من تدريج أنساب ملوك سبأ وحمير وهمدان حسبما يأتى المزيد من الايضاحات حول ذلك فى بابه .

وهنالك نقوش أخرى تشير إلى (مصر) و (آشور) و (فارس) ، (وبطاميوس) (والنجاشى) (والمنذر) أوردناها جميعها فى كتاب آخر مستقل

ونحن إذا حاولنا مقارنة أسماء الملوك الذين حكموا اليمن من القرن التاسع قبل الميلاد إلى القرن السادس للميلاد حسبما جاء فى النقوش بتلك الأسمـاء الواردة فى (الإكليل) للهمدانى (والسيرة الجامعة) لنشوان بن سعيد الحميرى وجدنا البون شاسعاً والتباين كبيراً ، الأمر الذى أكد لنا بصورة لا يتسرب إليها الشك أنها أسمـاء منتحلة وألقاب موضوعة وأخبار مصنوعة لا تمت إلى الحقيقة بأية صلة .

وأفصحت النقوش بأمانة وصدق عن أسماء الـكثير من القبائل اليمنية الـكبرى ، التى لعبت دورها لا فى بناء الحضارة اليمنية فحسب ، ولـكن فى تثبيت قواعد دولة سبأ وترسيخ أقدامها،وأكثرها ليس له ذكر فى تلك المصادر ومنهامثلا : يهبلح سمعى ، زخلم ، حبشت ، سمهر ، سوهر ، فيشان،ازدالجيش، أربع أو أربعان ، أوسان ، تلعر ، جبا ، نزحت ، نفقم ، يثل ، يمنت ، كما أفصحت عن الـكثير جداً من أسماء البلدان والأماكن،والأعلام والمفردات اللغوية

العربية الأصيلة التى لا يوجد لهـا ذكر فى قواميس اللغة العربية ومعاجمها ،

وقد أفردنا لذلك معجمات خاصة في كتابنا (دراسات في النقوش اليمنية) مقرونة بنتائج أبحاثنا حولها .

ومما لا شك فيه أن النقوش السبيئة والمعينية والحضرمية لو حظيت بالمزيد من التنقيب والدراسة والاهتمام ، لأنارت الطريق أمام البحث العلمى لمعرفة أصل اللغة العربية ووضعها الأول فى عصر يعرب وقحطان وهـذا يعتبر أهم حدث فى تاريخ أمة الضاد تـكشفه النقوش اليمنية .

وإلى جانب القبائل المشار إليها آنفاً روت لنا النقوش تاريخ الشعوب التى عاشت فى اليمن وكونت لهـا ممالك وإمارات لم تتعرض لذكرها مصادر التاريخ العربى ومراجع الإنساب ومنها قتبان وأوسان ودثان وسمعى واربعان وغيرها ، وكل هذه قد أخذت دورها فى الحـكم كدولٍ كان لها كيانها وعظمتها ، وما عداها من الشعوب كان لـكل منها حرية اختيار أمرائها وأقيالهـا ، فى إطار محدود كما يسمى الآن بالاستقلال الذاتى ، أو اللامركزية .

وكان الرابط الرئيسى لهذه الشعوب المنتشرة من الخليج العربى إلى البحر الأحمر هو الـكهنوت الدينى ، أو ما يصح أن نسميه بالثالوث الفـكرى المتمثل فى عبادة الشمس والقمر وعثتر . وكان يأخذ فى بعض الأحيان اتجاهات خاصة مختلفة فى الشكل والاسم ، لـكنها متحدةً فى جوهرها الأصلى ، وهو تحت الأحجار وعبادتها والتوسل إليها والاستغاثة بها والنذر لهـا وباسمها وهذا فى الواقع اتجاه عام انتهجته الشعوب القديمة من قبل .

وقفة عابرة مع عميد الأدب العربى

نرى لزاماً علينا طرح آراء علم من أعلام الأدب العربى ، بل عميده الوحيد فى تاريخنا المعاصر ، ألا وهو الدكتور طه حسين التى تضمنها كتابه (فى الأدب الجاهلى) والذى جاء فيه بأن اللغة الحميرية شىء والعربيةشىء آخر[1]. ونحن لا نبغى من إيرادها هنا نقدها أو اتهامها بالتعصب ، ذلك أن عميد الأدب العربى — كما يعرفة حملة أقلام الأدب العربى — يبنى آراءه على البحث العلمي ، ولا يصدر أحكامه فيها إلا بعد البحث العميق والدراسة المستفيضة .

وغاية ما نستطيع أن نقوله هنا أن وسائل البحث العلمى ومصادر دراسة النقوش اليمنية القديمة كانت فى الوقت الذى أصدر فيها الدكتور طه كتابه المشار إليه ضئيلة جداً ، بل لم يصدر حين ذاك منها غير كتاب (المختصر فى لغة حمير) للدكتور أغناطيوس غويدى(١٩٣٤) ، الذى كان كل ما لدى الدكتور طه حسين من مصادر هذا البحث كما يظهر ذلك من فحوى الكتاب .

وبالعودة إلى تلك النصوص التى جاءت فى كتاب الدكتور غويدى نجد أنها لا تكفى أن تكون مستنداً لمعرفه لغة حمير ؛ بل أن بعضها بل أكثرها نصوص سبئيه موغلة فى القدم وليست من لغة حمير فى شىء ، إلا أنها تحتوى على الكثير من المفردات العربية الأصيلة لو أعارها عميدنا الكبير قسطاً من التأمل والتمعن فمعظمها ألفاظ عربية ذات أوزان وصيغ لا تختلف عن اللغة العربية الحديثة إلا بمقدار ما قد يكون من الاختلاف بين الأصل وفرعه ، أو ما قد يحدث من الفارق التطوري بين الحديث والقديم .

---

(١) الأدب الجاهلى واللغة ص . ٨ — ٩٣

فكلمة (بعل) مثلاً — كما يعرف الدكتور طه — كلمة عربية وكذا (أخ) و (أخت) و (ذو) و (وهب) و (عبد) و (شعب) و (رِدْأ) و (إله) وغيرها مما جاء فى بحثه كلمات عربية فصحى . إلا أنها جاءت فى النقوش فى إطار صيغ وأوزان مختلفة عن الصيغ والأوزان المعروفة الآن ، كما أنها جاءت فى بعض النقوش المتأخرة فى أسلوب قريب منها تماماً ، وفى هذا الدليل القاطع على أن اللغة العربية قد مرّت بمراحل طويلة قبل أن تحظى مما حظيت به أخيراً من التهذيب على أيدى القرشيين ولن يكشف لنا تلك المراحل غير النقوش .

ولهذا فليس من التجنى القول عن أحكام الدكتور طه حسين بأنها أحكام تشرعية وقرارات متعسفة ، وتجن على البحث العلمى الذى أثبت لنا الآن أن كلاً من لغة قريش واليمن لغتان عربيتان تتحدران من أصل عربى واحد ، ومن ثمة فإن إنكاره لمعرفة تلك النقوش لأنها — كما قال — لا توافق لغة قريش أولا تنسجم معها أمر غير وارد فى نظرنا ، لا سيما وأن الدكتور نفسه قد صرح فى غير موضعٍ من كتابه الآنف الذكر أن لغة قريش لم يكتب لها الانتشار إلا قبيل الإسلام بفترة وجيزة ، فى حين أن لغة قريش وما جاء فى معاجم اللغة العربية المتفرقة ليست فى نظرنا كل شىء عن اللغة العربية التى تداولها العرب منذ بداية العصر الجاهلى وما قبله ، بل وليس هنالك أية مراجع للتعرف على تاريخها غير نصوص (المسند) إذ لم يعثر حتى الآن على أية نصوص جاهلية أخرى كتبت بغيره فى تاريخ اللغة العربية .

ومن هنا نستطيع أن نجزم بأن اللغة العربية قد نشأت فى اليمن منذ أقدم العصور ، وهذا لا يعنى نفى ما للعدنانيين من الفضل فى تطويرها ونشرها ، ولهذا فمن الحق على الذين يحاولون تعكيس النظرية الأصلية وهى أن العرب العاربة هم قحطان وأن العرب المستعربة هم عدنان أن يرجعوا بأفكارهم قليلاً ، وأن

يعتمدوا فى تحديد اللفظ العام للغة العربية على الوطن الجغرافى الذى نشأت فيه لا إلى الوطن الذى به تطورت ومنه انتشرت ، وهذه هى نفس النظرية التى قررها أستاذنا عميد الأدب العربى نفسه وهى نظرية صحيحة لولم تفرغ فى قالب معكوس .

وقد يقول من يحاول أن يقرأ — لأول وهلة — نقوشنا التى أوردناها كتابنا السابق الذكر ، أن يصدق ما قاله عمرو بن العلاء (ما لغة حمير بلغتنا) ، ولكنه عندما يشرع فى دراستها ككل يستطيع أن يجزم بأن فى لغة سبأ وحمير لهجات كثيرة ومتنوعة ، فلهجة (مأرب) مثلاً تختلف تماماً عن لهجة (ناعط) ، كما أن لهجة (الكلاع) مغايرة تماماً للهجة (همدان) ، وهو نفس ما نجده اليوم من التباين الكبير بين لهجات السكان الحاليين فى اليمن ، فقد نسمع فى لهجة (جماعة) الآن مثلاً كلاماً لا نكاد نصدق أنه يقال فى بلد هى قلب العروبة ، ومثل ذلك ما نجده من الاختلاف الهائل بين لهجات مصر العلياوالوسطى والسفلى كما ذكر ذلك الدكتور نفسه فى البحث ذاته .

أما من يحاول — عبثاً — أن يثبت بأن لغه النقوش عند السبئين والحميرين كانت لغة التخاطب فهو من القرارات التى لا ترتكزعلى منطقٍ صحيح وبحث علمى .

وفيما يتعلق بالشعر والأدب اليمنى فلا نشك فى أن عميدنا الكبير قد أوفى الموضوع حقه من البحث والاعتماد على الحجج القاطعة لا سيما حول ما قيل من شعر منسوب إلى شعراء يمنيين فى العصر الجاهلى وبقدر ما وصل إليه علمه .

الغرض من هذا الكتاب

إن الغرض من وضع هذا الكتاب هو الوقوف على سلاسل النسب الصحيحة التى توصل القبائل اليمنية بجدها الأول سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، الذى لا نشك فى أن أحداً يعارضنا فى أنه الأب الأول لهذه القبائل .

وكانت الخطوة الأولى هو الحصول على ما يمكن من النقوش وما كتب عنها من معلومات فى هذا السبيل ، ثم محاولة الموافقة بينها وبين تلك السلاسل التى جاءت فى (الإكليل) .

وبعد أن توفقنا فى الوقوف على النسب الصحيح للسلالات السبئية الملكية الأربع الآتى ذكرها بعد هذا ، عملاً بما جاء فى النقوش ، حاولنا إجراء عملية التوفيق والمطابقة بينها وبين أنساب الإكليل ، ولكنا وجدنا السكثير من الصعوبات ، لأن كلا المصدرين لا يمت إلى الآخر بأية صلة ، وأصبح من المتعذر ، بل من المحال التقدم خطوةً واحدة فى هذا الصدد .

ولكنا بأدنى تأمل وجدنا أن منطق النسب الذى كتبه لنا صاحبه بيده أو بأمره ، وحفره على جلاميد الصخور وصفائح البرونز أصدق لهجة وأبلغ منطقاً ممن يأتى فيسلسل لنا أسماء ملتبسة ويرصف لنا أنساباً متناقضة دون أن يذكر لنا — على الأقل — مصدره الصحيح فى ذلك سواء أكان ذلك المصدر نقشاً أو كتاباً أو راويةً يعرفه التاريخ ولو بطريقة غير مباشرة .

ولما كانت المكتشفات الأثرية لا تزال غير كافية لإشباع الموضوع الذى نحن بصدده ، فقد اعتمدنا جهد الإمكان على تلك المصادر العربية ، وبالخصوص (الإكليل) مع هوامشه ، وذلك فيما لم نجد له ذكر فى النقوش أو معلوماتها

التى بين أيدينا ، مع مناقشة ما يلزم مناقشته وإبداء آرائنا الصريحة فيه ، وهى آراء مجردة عن التقليـد والتحيز ، ولا تهدف إلى شىء أكثر من هدفها إلى خدمة التاريخ اليمنى بكل نزاهة وإخلاص ، ومن ذلك راعينا إبقاء تلك الأنساب بين [الحاصرتين] حتى يكشف عنها المستقبل ما تطمئن إليه النفس، ولا أمل لنا فى ذلك فى غير النقوش لأنها وحدها هى التى بعثت لنا تراث اليمن الصحيح وحضارته الراقية قبل الإسلام ، وكشفت لنا أنساب السلالات الملكية السبئية والحميرية والهمدانية ، ثم هى وحدها التى ستكشف عن بقية الأنساب الأخرى بعون الله وتوفيقه .